فَلأذْرِبيجـانَ اخْتِيـالٌ بَعْدَمـا كانَتْ مُعَرَّسَ عبرةٍ وَنكـال

سَمُجَتْ وَنَبَّهَنا عَلى استِسْماجِها ما حَوْلَها مِنْ نَضْرَةٍ وَجَمالِ

فقد عيب عليه (أذربيجان) و (استسماجها) لكثرة حروفهما .

وقول أبي الطيب :

إنَّ الكَريمَ بِلا كِرامٍ مِنْهُم مِثْلُ القُلوبِ بِلا سُوَيْداواتِها

(فسويداواتها) كلمة طويلة جدًّا [1] .

ويعلل لذلك الرازي من الناحية الصوتية قائلاً عن الكلمة المكونة من حرف واحد : « الحرف الواحد ليس بمفيد أصلاً ، وأما المركَّبة من حرفين فليست أيضًا في غاية العذوبة ، بل البالغ منها الثلاثيات لاشتمالها على المبدأ والوسط والنهاية ، والسبب فيه أن الصوت تابعٌ للحركة ، والحركة لا بد لها من هذه الأمور ، فمتى كانت هذه المراتب أتمَّ ظهورًا في الحركة ، كان الكلام أسهل جريانًا على اللسان ، أما الرُّباعيّات والخُماسيّات فلا يخفى ثقلُها ، والسبب فيه زيادتها على الدرجات الثلاث التي يتعلق بها كمال الصوت . » [2]

ويبدو أن ابن الأثير كان مغرمًا بتتبُّع ابن سنان واعتراضه ؛ ولذا لم يقبل هذا الذي شرطه فيما يتصل بكمية الحروف ، مستدلا بما ورد في الكتاب الكريم من كلمات طالت حروفها ومع ذلك فهي حسنة رائقة كقوله تعالى: ﴿ فسيكفيكهم الله ﴾ وقوله سبحانه : ﴿ ليستخلفنَّهم في الأرض ﴾ [3]

---

(١) ابن سنان : سر الفصاحة ، ص ٧٨ . (٢) فخر الدين الرازي : نهاية الإيجاز . القاهرة ، الآداب والمؤيد ، ١٣١٧ هـ . ص ٢٧ . (٣) ابن الأثير : المثل السائر، ج ١ ، ص ٢٦٤ ، ٢٦٥ .